عِنَايَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

بِالْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ

جمعٌ وترتيبٌ

مِنْ خُطَبِ وَمُحَاضَرَاتِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ:

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ رَسْلَانَ

حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

عَظَمَةُ الْإِسْلَامِ:

* «فَالْإِسْلَامُ دِينٌ كَامِلٌ، نَظَّمَ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، فَأَمَرَهُ بِحُسْنِ الْعِبَادَةِ مَعَ رَبِّهِ، وَحُسْنِ الْأَدَبِ مَعَ خَلْقِهِ، وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ مَعَ غَيْرِهِ، وَدَعَاهُ إِلَىٰ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَجَمَّلَ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ، وَحَفِظَ لِسَانَهُ وَجَوَارِحَهُ، وَضَبَطَ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، وَأَمَرَهُ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَنَهَاهُ عَمَّا يَضُرُّهُ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَشَرَعَ لَهُ آدَابًا مَعَ نَفْسِهِ، وَآدَابًا مَعَ غَيْرِهِ، وَعِنْدَ أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ، وَعِنْدَ نَوْمِهِ وَيَقَظَتِهِ، وَفِي حَضَرِهِ وَسَفَرِهِ، وَفِي حَالِ صِحَّتِهِ وَمَرَضِهِ، وَفِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ»(١). (*).

وَ«الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كِتَابُ تَعْلِيمٍ وَإِرْشَادٍ، وَكِتَابُ تَرْبِيَةٍ عَلَىٰ أَكْمَلِ الْأَخْلَاقِ، وَأَحْسَنِ الْآدَابِ، وَأَسْمَىٰ الْأَوْصَافِ، وَحَثَّ عَلَيْهَا بِكُلِّ وَسِيلَةٍ، وَزَجَرَ عَنْ ضِدِّهَا، وَلَا يُوجَدُ خُلُقٌ كَامِلٌ إِلَّا وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، وَلَا أَدَبٌ حَمِيدٌ إِلَّا وَقَدْ دَعَا إِلَيْهِ وَبَيَّنَهُ»(٣). (*/٢).

---

(١) «مختصر الفقه الإسلامي في ضوء الكتاب والسنة»: كتاب الآداب، (ص ٢٩٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (الْآدَابُ وَالْحُقُوقُ الْعَامَّةُ لِلْمُجْتَمَعِ وَأَثَرُهَا فِي رُقِيِّهِ وَبِنَاءِ حَضَارَتِهِ) الْجُمُعَةَ ٩ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٤٠هـ الْمُوَافِقَ ١٢/ ٧/ ٢٠١٩م

(٣) «فتح الرحيم الملك العلام»: (ص ٩٤).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ(شَرْحُ فَتْحِ الرَّحِيمِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ) الْمُحَاضَرَةَ (٨) الْأَحَدَ ٢٦ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٤هـ الْمُوَافِقَ ٤/ ٨/ ٢٠١٣م

*قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٣]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠].(*).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (الْآدَابُ وَالْحُقُوقُ الْعَامَّةُ لِلْمُجْتَمَعِ وَأَثَرُهَا فِي رُقِيِّهِ وَبِنَاءِ حَضَارَتِهِ) الْجُمُعَةَ ٩ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٤٠هـ الْمُوَافِقَ ١٢/ ٧/ ٢٠١٩م

مِنْ ثَمَرَاتِ الْآدَابِ السَّامِيَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْكَامِلَةِ:

* «وَالْأَخْلَاقُ الْكَامِلَةُ وَالْآدَابُ السَّامِيَةُ تَجْعَلُ صَاحِبَهَا مُسْتَقِيمَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، مُعْتَدِلَ الْأَحْوَالِ، مُكْتَمِلَ الْأَوْصَافِ الْحَسَنَةِ، طَاهِرَ الْقَلْبِ نَقِيَّهُ مِنْ كُلِّ دَرَنٍ وَآفَةٍ وَنَقْصٍ، قَوِيَّ الْقَلْبِ، مُتَوَجِّهًا قَلْبُهُ إِلَىٰ أَعْلَىٰ الْأُمُورِ وَأَنْفَعِهَا، قَائِمًا بِالْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ، مَحْمُودًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ، قَدْ حَازَ الشَّرَفَ وَالِاعْتِبَارَ الْحَقِيقِيَّ، وَسَلِمَ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ وَآفَةٍ، قَدْ تَوَاطَأَ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ عَلَىٰ الِاسْتِقَامَةِ، وَسُلُوكِ طَرِيقِ الْفَلَاحِ، وَعُلُوِّ مَكَانَةِ الْمُتَخَلِّقِ بِأَخْلَاقِ الْقُرْآنِ وَآدَابِهِ لَا يَمْتَرِي فِيهِ مَنْ لَهُ أَدْنَىٰ مُسْكَةٍ مِنْ عَقْلٍ، لِأَنَّ الْعَقْلَ مِنْ أَكْبَرِ الشَّوَاهِدِ عَلَىٰ حُسْنِ مَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ.

وَلِهَذَا يُنَبِّهُ اللهُ أُولِي الْعُقُولِ وَالْأَلْبَابِ، وَيُوَجِّهُ إِلَيْهِمْ الْخِطَابَ، لِأَنَّهُ كُلَّمَا كَمُلَ عَقْلُ الْإِنْسَانِ عَرَفَ كَمَالَ مَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ، وَأَنَّه يَسْتَحِيلُ وُجُودُ قَانُونٍ أَوْ نِظَامٍ أَوْ غَيْرِهَا يُقَارِبُ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ كَمَالًا وَفَضْلًا، وَرِفْعَةً وَعُلُوًّا وَنَزَاهَةً، وَيُعْرَفُ ذَلِكَ بِتَتَبُّعِ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ»[1]. (*).

---

(١) «فتح الرحيم الملك العلام»: (ص ٩٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ(شَرْحُ فَتْحِ الرَّحِيمِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ) الْمُحَاضَرَةِ (٨) الْأَحَدَ ٢٦ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٤هـ الْمُوَافِقَ ٤/ ٨/ ٢٠١٣م

الدِّينُ كُلُّهُ خُلُقٌ:

وَ«هَذَا الدِّينُ خُلُقٌ، فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الْخُلُقِ زَادَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ»(١)، وَلَابُدَّ أَنْ تَظْهَرَ ثَمَرَةُ الدِّينِ عَلَىٰ الْمَرْءِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَحَرَكَةِ حَيَاتِهِ وَسُلُوكِهِ الْمَسْلُوكِ، مَعَ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ بَاطِنٍ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ جَلَّوَعَلَا،

الدِّينُ خُلُقٌ، فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الْخُلُقِ زَادَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ، وَالثَّمَرَةُ الْمَرْجُوَّةُ مِنْ هَذَا الدِّينِ إِنَّمَا تَبْدُو فِي سُلُوكِ الْمَرْءِ فِي الْحَيَاةِ.(*).

الْإِسْلَامُ دِينُ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ:

*وَقَدْ حَصَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْغَايَةَ مِنَ الْبَعْثَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فِي (تَمَامِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ) **فَقَالَ** ﷺ **«إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»**(٣)

---

(١) «مدارج السالكين»: (٢/ ٢٩٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (الصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَاءِ) الْجُمُعَةَ ٣ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٥هـ الْمُوَافِقَ ٢/ ٥/ ٢٠١٤م

(٣) أخرجه أحمد في «المسند»: (٢/ ٣٨١، رقم ٨٩٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد»: (ص ٧٨، رقم ٢٧٣)، والبزار في «المسند»: (١٥/ ٣٦٤، رقم ٨٩٤٩)، والحاكم في «المستدرك»: (٢/ ٦١٣، رقم ٤٢٢١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ»: (١٠/ ١٩١ - ١٩٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه:

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ».

وفي رواية البزار، بلفظ: «... مكارم الأخلاق».

قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه الألباني في «الصحيحة»: (١/ ١١٢، رقم ٤٥).

فَلَا عَجَبَ إِذَنْ أَنْ يَكُونَ حُسْنُ الْخُلُقِ غَايَةَ الْغَايَاتِ فِي سَعْيِ الْعَبْدِ لِاسْتِكْمَالِ الصِّفَاتِ عَلَىٰ أَسَاسٍ مِنَ التَّوْحِيدِ الْمَكِينِ وَثَابِتِ الْإِخْلَاصِ وَالْيَقِينِ.(*).

بِالْأَخْلَاقِ يَرْتَقِي الْمُسْلِمُ فِي دَرَجَاتِ الْإِيمَانِ وَتَثْقُلُ مَوَازِينُهُ عِنْدَ الْمِيزَانِ:

*عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ**»(٢)

أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ:

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، قَالَ: « **تَقْوَىٰ اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ**»(٣)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ (قِرَاءَةٌ فِي كِتَابِ حُسْنِ الْخُلُقِ) مَنْشُورَةٌ بِتَارِيخِ ٢٠/ ٥/ ٢٠١٦م

(٢) أخرجه أبو داود: (٤/ ٢٥٣، رقم ٤٧٩٩)، والترمذي: (٤/ ٣٦٢ – ٣٦٣، رقم ٢٠٠٢ و ٢٠٠٣)، من حديث: أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه.

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٣/ ٧، رقم ٢٦٤١)، وفي «الصحيحة»: (٢/ ٥٣٥ – ٥٣٧، رقم ٨٧٦).

(٣) أخرجه الترمذي: (٤/ ٣٦٣، رقم ٢٠٠٤)، وابن ماجه: (٢/ ١٤١٨، رقم ٤٢٤٦).

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، وحسن إسناده الألباني في «الصحيحة»: (٢/ ٦٦٩، رقم ٩٧٧).

أَحَبُّ النَّاسِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ:

وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا**»(١).

الْأَخْلَاقُ مِعْيَارُ كَمَالِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ:

وَقَالَ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ عَنْهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»(٢). (*).

خُلُقُ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

*وَقَدْ كَانَ إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ عَلَىٰ الْقِمَّةِ الشَّامِخَةِ، وفوق الغاية والمنتهىٰ، فكان كما قال عنه ربه ﷻ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]

---

(١) أخرجه الترمذي: (٤/ ٣٧٠، رقم ٢٠١٨)، من حديث: جَابِرٍ رضي الله عنه.
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَفِي البَابِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ»، وكذا حسنه الألباني في «الصحيحة»: (٢/ ٤١٨ - ٤١٩، رقم ٧٩١)، والحديث بنحوه في الصحيحين: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا»، من رواية: ابن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود: (٤/ ٢٢٠، رقم ٤٦٨٢) مختصرا، والترمذي: (٣/ ٤٥٧، رقم ١١٦٢) واللفظ له.
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وصححه لغيره الألباني في «الصحيحة»: (١/ ٥٧٣ - ٥٧٥، رقم ٢٨٤)، وروي عن عائشة رضي الله عنها، مرفوعا، بنحوه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ (مَجْمُوعَةُ رَسَائِلَ) (حُسْنُ الْخُلُقِ) الِاثْنَيْنِ ٢٢ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤١١هـ الْمُوَافِقَ ١٠ مِنْ دِيسَمْبِر ١٩٩٠م

أَخْبَرَ سَعْدُ بْنُ هِشَامٍ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رضي الله عنها فَقَالَ: «قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟

قُلْتُ: بَلَىٰ.

قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ الْقُرْآنُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١). (*).

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم: (١/ ٥١٢ - ٥١٣، رقم ٧٤٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ (قِرَاءَةٌ فِي كِتَابِ حُسْنِ الْخُلُقِ) مَنْشُورَةٌ بِتَارِيخِ ٢٠/ ٥/ ٢٠١٦م.

الْإِسْلَامُ دِينُ رَحْمَةٍ وَبَرَكَةٍ وَإِحْسَانٍ:

* «إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ دِينُ رَحْمَةٍ وَبَرَكَةٍ وَإِحْسَانٍ، وَحَثَّ عَلَىٰ مَنْفَعَةِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ. فَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ هَذَا الدِّينُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ وَالدَّعْوَةِ إِلَىٰ الْإِحْسَانِ، وَالنَّهْيِ عَنْ كُلِّ مَا يُضَادُّ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي صَيَّرَهُ نُورًا وَضِيَاءً بَيْنَ ظُلُمَاتِ الظُّلْمِ وَالْبَغْيِ وَسُوءِ الْمُعَامَلَةِ وَانْتِهَاكِ الْحُرَمَاتِ.

وَهُوَ الَّذِي جَذَبَ قُلُوبَ مَنْ كَانُوا قَبْلَ مَعْرِفَتِهِ أَلَدَّ أَعْدَائِهِ حَتَّىٰ اسْتَظَلُّوا بِظِلِّهِ الظَّلِيلِ، وَهُوَ الَّذِي عَطَفَ وَحَنَا عَلَىٰ أَهْلِهِ، حَتَّىٰ صَارَتِ الرَّحْمَةُ وَالْعَفْوُ وَالْإِحْسَانُ يَتَدَفَّقُ مِنْ قُلُوبِهِمْ عَلَىٰ أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، وَتَخَطَّاهُمْ إِلَىٰ أَعْدَائِهِ، حَتَّىٰ صَارُوا مِنْ أَعْظَمِ أَوْلِيَائِهِ. فَمِنْهُمْ مَنْ دَخَلَ فِيهِ بِحُسْنِ بَصِيرَةٍ وَقُوَّةِ وِجْدَانٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَضَعَ لَهُ وَرَغِبَ فِي أَحْكَامِهِ وَفَضْلِهَا عَلَىٰ أَحْكَامِ أَهْلِ دِينِهِ، لِمَا فِيهَا مِنَ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ»(١). (*).

---

(١) «الدرة المختصرة في محاسن الدين الإسلامي» ضمن مجموع مؤلفات السعدي: (٢٣/ ٣٩٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (مِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ٣) الْأَرْبِعَاءَ ٧ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٥هـ الْمُوَافِقَ ٨/ ١/ ٢٠١٤م

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]*

(وَمَا اصْطَفَيْنَاكَ نَبِيًّا يُوحَىٰ إِلَيْكَ، وَمَا اخْتَرْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ رَسُولًا لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَخَاتِمًا لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ-الْإِنْسِ وَالْجِنِّ- بِسَبَبِ حِرْصِكِ الشَّدِيدِ عَلَىٰ إِنْقَاذِهِمْ مِنْ شَقَاءِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَىٰ أَنْ يَظْفَرُوا بِالنَّعِيمِ الْأَبَدِيِّ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَهُوَ ﷺ رَحْمَةٌ لَهُمْ لِأَنَّهُ يَحْمِلُ لَهُمْ وَيُبَلِّغُهُمْ أَعْظَمَ دِينٍ إِذَا اتَّبَعُوهُ وَعَمِلُوا بِمَا فِيهِ يُنَجِّيهِمْ مِنْ شَقَاءِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ وَيُظْفِرُهُمْ بِالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ)[١] .(*).

❁ ❁ ❁

(١) «المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين»: (ص ٣٣١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ)(سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ) ٨ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٢١/ ١٠/ ٢٠١٥م

الْإِسْلَامُ دِينٌ يَحْفَظُ لِلْإِنْسَانِ كَرَامَتَهُ:

*«وَمِنْ مَحَاسِنِ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ: النَّهْيُ عَنِ الِاسْتِهْزَاءِ بِالنَّاسِ وَذِكْرِ عُيُوبِهِمْ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ...﴾ [الحجرات:١١]»(١). (*).

*﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات:١١-١٢]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْتَهْزِئْ رِجَالٌ مِنْ رِجَالٍ بِتَحْقِيرِهِمْ وَاسْتِصْغَارِهِمْ، أَوْ تَحْطِيمِ مَكَانَتِهِمْ، أَوْ مُقَاوَمَةِ أَفْكَارِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ بِالْبَاطِلِ، أَوْ لِلتَّسْلِيَةِ أَوْ الضَّحِكِ، عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ الْمُسْتَهْزِئُ بِهِمْ خَيْرًا وَأَفْضَلَ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِكَثِيرٍ،

(١) «موارد الظمآن لدروس الزمان»: (٦/ ٣٨٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (مَحَاسِنُ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ١) الثُّلَاثَاءَ ٦ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٥هـ الْمُوَافِقَ ٧/ ١/ ٢٠١٥م

فِي إِيمَانِهِمْ وَطَهَارَةِ قُلُوبِهِمْ، وَتَقْوَاهُمْ، لِأَنَّ السُّخْرِيَةَ ظُلْمٌ قَبِيحٌ مِنَ الْإِنْسَانِ لِأَخِيهِ الْإِنْسَانِ، وَعُدْوَانٌ عَلَىٰ كَرَامَتِهِ، وَإِيذَاءٌ لِنَفْسِهِ.

وَمِنْ آثَارِهَا تَقْطِيعُ الرَّوَابِطِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ وَبَذْرُ بُذُورِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، وَهِيَ لَا تَخْلُو مِنَ اعْتِرَاضٍ عَلَىٰ الْخَالِقِ فِي ابْتِلَائِهِ لِعِبَادِهِ، إِذَا كَانَتِ السُّخْرِيَةُ مِنْ أَمْرٍ لَا يَمْلِكُ الْمَسْخُورُ مِنْهُ تَعْدِيلًا، أَوْ لِتَغْطِيَةِ نَقْصِ السَّاخِرِينَ وَغَمْطِ كَمَالِ أَهْلِ الْكَمَالِ، إِذَا كَانَتِ السُّخْرِيَةُ مِنَ النَّاقِصِينَ لِلْكَامِلِينَ.

وَلَا يَسْتَهْزِئْ نِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ مِنْ نِسَاءٍ مُؤْمِنَاتٍ، عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا وَأَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ مِنَ الْمُسْتَهْزِئَاتِ، وَلَا يَعِبِ الْإِنْسَانُ أَخَاهُ فِي وَجْهِهِ بِكَلَامٍ وَلَوْ خَفِيَ، لِأَنَّكُمْ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، فَمَنْ آذَىٰ نَفْسَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فَكَأَنَّمَا آذَىٰ نَفْسَهُ، وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ، فَكَأَنَّمَا آذَىٰ نَفْسَهُ، وَمَنْ يَلْمِزْ غَيْرَهُ يُعَرِّضْ نَفْسَهُ لِلِانْتِقَامِ مِنْهُ بِاللَّمْزِ، فَهُوَ إِذْ يَلْمِزِ النَّاسَ يَتَسَبَّبُ فِي أَنْ يَلْمِزُوهُ.

وَرُبَّ لَمْزٍ خَفِيٍّ أَشَدُّ مِنْ طَعْنٍ صَرِيحٍ، لِأَنَّ فِيهِ مَعْنَىٰ اسْتِغْبَاءِ الْمَلْمُوزِ وَاسْتِغْفَالِهِ، فَكَأَنَّهُ لَا يَنْتَبِهُ إِلَىٰ الطَّعْنِ الْمُوَجَّهِ ضِدَّهُ فِي رَمْزِ الْكَلَامِ وَحَرَكَاتِ الْوَجْهِ وَالْبَدَنِ، وَلَا تَدْعُ الْإِنْسَانَ بِغَيْرِ مَا سُمِّيَ بِهِ مِمَّا يَكْرَهُهُ الْمُنَادَىٰ بِهِ، أَوْ يُفِيدُ ذَمًّا لَهُ، أَوْ تَحْقِيرًا وَتَنْقِيصًا، أَوْ غَضًّا مِنْ كَرَامَتِهِ، وَخَفْضًا مِنْ مَكَانَتِهِ، بِئْسَ أَنْ يَرْتَكِبَ الْمُؤْمِنُونَ عَمَلًا يُطْلَقُ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِهِ اسْمُ الْفُسُوقِ، بَعْدَ اتِّصَافِهِمْ بِالْإِيمَانِ وَتَحَلِّيهِمْ بِهَذَا الِاسْمِ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ الْأَسْمَاءِ وَأَكْمَلُهَا.

وَمَنْ لَمْ يَتُبْ مِنَ السُّخْرِيَةِ وَاللَّمْزِ وَالنَّبْزِ، فَأُولَئِكَ الْبُعَدَاءُ عَنْ رَحْمَةِ اللهِ، هُمُ الظَّالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ بِتَعْرِيضِهَا لِلْعَذَابِ عَلَىٰ ذُنُوبِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ، وَظَالِمُونَ لِغَيْرِهِمْ بِإِيذَائِهِمْ وَإِهَانَتِهِمْ.

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ الْوَهْمِيِّ، وَالظَّنِّ الَّذِي هُوَ مِنْ مَرْتَبَةِ الشَّكِّ، وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي عَلَيْكُمْ أَنْ تَجْتَنِبُوا الظَّنَّ الرَّاجِحَ بِرُجْحَانٍ ضَعِيفٍ لَا يَقْوَىٰ عَلَىٰ الْإِدَانَةِ.

إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ بِالنَّاسِ الْمُفْضِي إِلَىٰ اتِّهَامِ النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ إِثْمٌ، لِأَنَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ الَّذِي لَا يَصْلُحُ لِلْحُكْمِ وَالْإِدَانَةِ وَلَا لِتَحْصِيلِ الْمَعَارِفِ، يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ دَائِمَ السَّبْحِ فِي الظُّنُونِ، سَرِيعَ إِصْدَارِ الْأَحْكَامِ بِمُجَرَّدِ الظَّنِّ، وهَذَا يُوقِعُهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْخَطَأِ الَّذِي يُفْضِي بِهِ إِلَىٰ الْوُقُوعِ فِي الْإِثْمِ الَّذِي يُؤَاخَذُ عَلَيْهِ.

عَلَىٰ أَنَّ الْأَمْرَ بِاجْتِنَابِ كَثِيرٍ مِنَ الظَّنِّ يُفِيدُ أَنَّ مِنَ الظَّنِّ مَا لَمْ يَأْمُرِ اللهُ بِاجْتِنَابِهِ، كَالظُّنُونِ الَّتِي تُبْنَىٰ عَلَيْهَا أَحْكَامٌ قَضَائِيَّةٌ، وَيُسْتَنْبَطُ بِهَا أَحْكَامٌ شَرْعِيَّةٌ، فَحُكْمُ الْقَاضِي بِشَاهِدَيْنِ صَحِيحَيِ الشَّهَادَةِ حُكْمٌ بِالظَّنِّ لَا بِالْيَقِينِ، لِاحْتِمَالِ خَطَئِهِمَا وَنِسْيَانِهِمَا، وَلِاحْتِمَالِ فِسْقِهِمَا مَعَ ظُهُورِ عَدَالَتِهِمَا.

وَالِاسْتِنْبَاطَاتُ الظَّنِّيَّةُ الِاجْتِهَادِيَّةُ مِنْ قِبَلِ ذَوِي أَهْلِيَّةٍ اجْتِهَادِيَّةٍ اسْتِنْبَاطَاتٌ مَقْبُولَةٌ شَرْعًا.

وَلَا تَبْحَثُوا عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَتَتَبَّعُوا عَوْرَاتِهِمْ وَهُمْ فِي خَلَوَاتِهِمْ، إِمَّا بِالنَّظَرِ إِلَيْهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ، وَإِمَّا بِاسْتِرَاقِ السَّمْعِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، وَإِمَّا بِالِاطِّلَاعِ عَلَىٰ مَكْتُوبَاتِهِمْ وَوَثَائِقِهِمْ وَأَسْرَارِهِمْ وَمَا يُخْفُونَهُ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ دُونَ

إِذْنٍ مِنْهُمْ، مَا دَامُوا ظَاهِرِي الِاستِقَامَةِ غَيْرَ مُجَاهِرِينَ بِمَعَاصِيهِمْ، وَكَانَ مَا يُخْفُونَهُ مِنَ الْأُمُورِ مِنَ السُّلُوكِ الشَّخْصِيِّ الَّذِي يَخُصُّهُمْ.

أَمَّا إِذَا كَانُوا فَاسِقِينَ مَعْرُوفِينَ بِالْفِسْقِ أَوْ كَانُوا مُنَافِقِينَ مَكْشُوفِي النِّفَاقِ، أَوْ مَا يُخْفُونَهُ مِنْ قَبِيلِ خِيَانَةِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ عَدُوِّهِمْ فَهُؤَلاءِ لَا حُرْمَةَ لَهُمْ، وَيَنْبَغِي كَشْفُ خِيَانَتِهِمْ وَمَا يَكِيدُونَ الْمُسْلِمِينَ مَعَ أَعْدَائِهِمْ.

وَلَا يَتَنَاوَلْ بَعْضُكُمْ بعضًا بِظَهْرِ الْغَيْبِ بِمَا يَسُوؤُهُ وَيَكْرَهُهُ مِمَّا هُوَ مُتَّصِفٌ بِهِ، فَإِنَّ مَنْ يَذُمُّ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ وَيَتَحَدَّثُ عَنْ نَقَائِصِهِ وَمَعَايِبِهِ يُؤْذِيهِ أَذًىٰ يُشْبِهُ أَذَىٰ مَنْ يَعَضُّهُ وَيَأْكُلُ لَحْمَهُ.

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فِي غَيْبَتِهِ وَعَلَىٰ غَيْرِ شُعُورٍ مِنْهُ كَانَ كَمَنْ يَعَضُّهُ وَيَأْكُلُ مِنْ لَحْمِهِ وَهُوَ مَيِّتٌ لَا يُحِسُّ أَلَمَ الْعَضِّ وَالْأَكْلِ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا؟ لَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَكْلَ جِيفَةِ أَخِيهِ، فَكَمَا كَرِهْتُمْ هَذَا، فَاجْتَنِبُوا ذِكْرَهُ بِسُوءٍ غَائِبًا، وَاتَّقُوا اللهَ فِي أَمْرِ الْغِيبَةِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، إِنَّ اللهَ كَثِيرُ التَّوْبَةِ عَلَىٰ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، دَائِمُ الرَّحْمَةِ بِهِمْ)[١]

«وَإِنَّ مِنْ حُقُوقِ الْأُخُوَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ: الْبُعْدَ عَمَّا يَجْرَحُ الْمَشَاعِرَ مِنَ السُّخْرِيَةِ وَالْعَيْبِ وَالتَّنَابُزِ بِالْأَلْقَابِ»[٢].(*).

---

(١) «المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين»: (ص ٥١٦ - ٥١٧).

(٢) «المختصر في تفسير القرآن الكريم»: (ص ٥١٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) سُورَةِ الْحُجُرَاتِ الْأَرْبِعَاءَ ١٣ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٢٥/ ١١/ ٢٠١٥م

*وعلَىٰ المُسلِمِ أَنْ يُقَدِّمَ حُسنَ الظَّنِ بِأَخِيهِ المُسلِمِ، ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢].(*).

(هَلَّا إِذْ سَمِعْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ قَوْلَ أَهْلِ الْإِفْكِ، ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ السَّلَامَةَ لِإِخْوَانِهِمُ النَّازِلِينَ مَنْزِلَةَ أَنْفُسِهِمْ وَقَالُوا مُسْتَنْكِرِينَ مَقَالَتَهُمْ بِلِسَانِ الْحَالِ وَالْمَقَالِ: هَذَا كَذِبٌ بَيِّنٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ)(٢).(/٢).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (حَرْبُ الشَّائِعَاتِ) الْجُمَعَةَ ٢٢ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٢٩/ ٤/ ٢٠١٦م

(٢) «المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين»: (ص ٣٥١).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) الْأَرْبِعَاءَ ١٥ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٢٨/ ١٠/ ٢٠١٥م وَالْخَمِيسَ ١٦ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٧هـ - ٢٩/ ١٠/ ٢٠١٥م

وَمِنَ الْقِيَمِ الَّتِي اهْتَمَّ الْقُرْآنُ بِبَيَانِهَا: قِيمَةُ التَّعَاوُنِ وَالتَّرَابُطِ

* «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [سورة المائدة: الآية ٢]

فَالْبِرُّ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، وَأَحَبَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، مِنَ التَّحَقُّقِ بِعَقَائِدِ الدِّينِ وَأَخْلَاقِهِ، وَالْعَمَلِ بِآدَابِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، مِنَ الشَّرَائِعِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَمِنَ الْقِيَامِ بِحُقُوقِ اللهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ.

وَمِنَ التَّعَاوُنِ عَلَىٰ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا، فَكُلُّ هَذَا دَاخِلٌ فِي التَّعَاوُنِ عَلَىٰ الْبِرِّ.

وَمِنَ التَّعَاوُنِ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ التَّعَاوُنُ عَلَىٰ اجْتِنَابِ وَتَوَقِّي مَا نَهَىٰ اللهُ وَرَسُولُهُ عَنْهُ مِنَ الْفَوَاحِشِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَمِنَ الْإِثْمِ وَالْبَغْيِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَالْقَوْلِ عَلَىٰ اللهِ بِلَا عِلْمٍ، بَلْ عَلَىٰ تَرْكِ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ.

وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ التَّعَاوُنُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْوَسَائِلِ وَالْأَسْبَابِ الَّتِي يُتَّقَىٰ بِهَا ضَرَرُ الْأَعْدَاءِ، مِنَ الِاسْتِعْدَادِ بِالْأَسْلِحَةِ الْمُنَاسِبَةِ لِلْوَقْتِ، وَتَعَلُّمِ الصَّنَائِعِ الْمُعِينَةِ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَالسَّعْيُ فِي تَكْمِيلِ الْقُوَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْمَادِّيَّةِ الْمُعِينَةِ عَلَىٰ ذَلِكَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٦٠] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [سورة النساء: الآية ٧١]

فَيَدْخُلُ فِي هَذَا الِاسْتِعْدَادُ بِكُلِّ الْمُسْتَطَاعِ مِنْ قُوَّةٍ عَقْلِيَّةٍ وَسِيَاسِيَّةٍ وَصِنَاعِيَّةٍ، وَتَعَلُّمُ الْآدَابِ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَالنِّظَامِ النَّافِعِ، وَالرَّمْيِ وَالرُّكُوبِ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا التَّحَرُّزِ مِنَ الْأَعْدَاءِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ يُدْرِكُهَا الْمُسْلِمُونَ، وَاتِّخَاذُ الْحُصُونِ الْوَاقِيَةِ.

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ بِجِهَادِ الْكُفَّارِ الْمُعْتَدِينَ - فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ وَأَحَادِيثَ مُتَنَوِّعَةٍ - بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَالرَّأْيِ، وَفِي حَالِ الِاجْتِمَاعِ، وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ.

وَالْأَمْرُ بِذَلِكَ أَمْرٌ بِهِ وَبِكُلِّ أَمْرٍ يُعِينُ عَلَيْهِ وَيُقَوِّيهِ وَيُقَوِّمُهُ، وَأَخْبَرَ بِمَا لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ، وَمَا يَدْفَعُ اللهُ بِهِ مِنْ أَصْنَافِ الشُّرُورِ، وَمَا يَحْصُلُ بِهِ مِنَ الْعِزِّ وَالتَّمْكِينِ وَالرِّفْعَةِ، وَمَا فِي تَرْكِهِ وَالزُّهْدِ فِيهِ مِنَ الذُّلِّ وَالضَّرَرِ الْعَظِيمِ؛ وَتَوَعَّدَ النَّاكِلِينَ عَنْهُ بِالْخِذْلَانِ وَالسُّقُوطِ الْحِسِّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ؛ وَبَيَّنَ لَهُمُ الطُّرُقَ الَّتِي يَسْلُكُونَهَا فِي تَقْوِيَةِ مَعْنَوِيَّاتِهِمْ، فَإِنَّهُ حَثَّهُمْ عَلَىٰ التَّآلُفِ وَالِاجْتِمَاعِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّبَاغُضِ وَالتَّعَادِي وَالِافْتِرَاقِ.

وَذَلِكَ أَنَّ حَقِيقَةَ الْجِهَادِ هُوَ الْجِدُّ وَالِاجْتِهَادُ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُقَوِّي الْمُسْلِمِينَ وَيُصْلِحُهُمْ وَيُلِمُّ شَعَثَهُمْ، وَيَضُمُّ مُتَفَرِّقَهُمْ وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ عُدْوَانَ الْأَعْدَاءِ أَوْ يُخَفِّفُهُ بِكُلِّ طَرِيقٍ وَوَسِيلَةٍ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٣]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [سورة الأنفال: الآيتان: ٦٢، ٦٣]

وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبۡغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [سورة الحجرات: الآيتان ٩، ١٠]

وَقَالَ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ(١) مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ: **«لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَىٰ هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»**.

وَقَالَ ﷺ: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ»** أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ(٢) مِنْ رِوَايَةِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ.

---

(١) أخرجه مسلم: (٤/ ١٩٨٦، رقم ٢٥٦٤).

(٢) أخرجه البخاري: (١٠/ ٤٣٩، رقم ٦٠١١)، ومسلم: (٤/ ١٩٩٩، رقم ٢٥٨٦) واللفظ له.

ولفظ البخاري: «تَرَىٰ المُؤْمِنِينَ.. » وذكره بنحوه.

وفي رواية لمسلم: (٤/ ٢٠٠٠): «الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنِ اشْتَكَىٰ رَأْسُهُ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ»، وله أيضا: «...، إِنِ اشْتَكَىٰ عَيْنُهُ اشْتَكَىٰ كُلُّهُ، وَإِنِ اشْتَكَىٰ

إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ هَذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ.

فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ السَّعْيَ فِي تَحْقِيقِ هَذَا الْأَصْلِ فِي تَأْلِيفِ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَىٰ دِينِهِمْ وَمَصَالِحِهِمُ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، فِي جَمْعِ أَفْرَادِهِمْ وَشُعُوبِهِمْ، وَفِي رَبْطِ الصَّدَاقَةِ وَالْمُعَاهَدَاتِ بَيْنَ حُكُومَاتِهِمْ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ.

وَمِنْ أَنْفَعِ الْأُمُورِ أَنْ يَتَصَدَّىٰ لِهَذَا الْأَمْرِ جَمِيعُ طَبَقَاتِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْكُبَرَاءِ وَسَائِرِ الْأَفْرَادِ مِنْهُمْ، كُلُّ أَحَدٍ يَجِدُّ بِحَسَبِ إِمْكَانِهِ. فَمَتَىٰ كَانَتْ غَايَةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةً وَهِيَ (الْوَحْدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ) وَسَلَكُوا السُّبُلَ الْمُوصِلَةَ إِلَيْهَا، ودَافَعُوا جَمِيعَ الْمَوَانِعِ الْمُعَوِّقَةِ وَالْحَائِلَةِ دُونَهَا، فَلَا بُدَّ أَنْ يَصِلُوا إِلَىٰ النَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ.

وَمِمَّا يُعِينُ عَلَىٰ هَذَا(أَيْ عَلَىٰ جَمْعِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّىٰ يَكُونُوا وِحْدَةً وَاحِدَةً) الْإِخْلَاصُ وَحُسْنُ الْقَصْدِ فِيمَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالثَّوَابِ، وَأَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ سَعْيٍ فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنَ الْجِهَادِ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَمِمَّا يُقَرِّبُ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ ثَوَابِهِ. وَأَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْمَصْلَحَةَ فِي ذَلِكَ مُشْتَرَكَةٌ، فَالْمَصَالِحُ الْكُلِّيَّاتُ الْعَامَّةُ تُقَدَّمُ عَلَىٰ الْمَصَالِحِ الْجُزْئِيَّاتِ الْخَاصَّةِ.

وَلِهَذَا يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَجْعَلُوا الِاخْتِلَافَ فِي الْمَذَاهِبِ أَوِ الْأَنْسَابِ أَوِ الْأَوْطَانِ دَاعِيًا إِلَىٰ التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ؛ فَالرَّبُّ وَاحِدٌ، وَالدِّينُ وَاحِدٌ، وَالطَّرِيقُ لِإِصْلَاحِ الدِّينِ وَصَلَاحِ جَمِيعِ طَبَقَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدٌ، وَالرَّسُولُ الْمُرْشِدُ لِلْعِبَادِ وَاحِدٌ، فَلِهَذَا يَتَعَيَّنُ أَنْ تَكُونَ الْغَايَةُ الْمَقْصُودَةُ وَاحِدَةً.

=

رَأْسُهُ اشْتَكَىٰ كُلُّهُ».

فَالْوَاجِبُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ السَّعْيُ التَّامُّ لِتَحْقِيقِ الْأُخُوَّةِ الدِّينِيَّةِ وَالرَّابِطَةِ الْإِيمَانِيَّةِ، فَمَتىٰ عَلِمُوا وَتَحَقَّقُوا ذَلِكَ، وَسَعَىٰ كُلٌّ مِنْهُمْ بِحَسَبِ مَقْدُورِهِ، وَاسْتَعَانُوا بِاللهِ وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ، وَسَلَكُوا طُرُقَ الْمَنَافِعِ وَأَبْوَابَهَا، وَلَمْ يَخْلُدُوا إِلَىٰ الْكَسَلِ وَالْخَوَرِ وَالْيَأْسِ، نَجَحُوا وَأَفْلَحُوا.

فَإِنَّ الْكَسَلَ وَالْخَوَرَ وَالْيَأْسَ مِنْ أَعْظَمِ مَوَانِعِ الْخَيْرِ، فَإِنَّهَا مُنَافِيَةٌ لِلدِّينِ وَلِلْجِهَادِ الْحَقِيقِيِّ. فَمَنِ اسْتَوْلَىٰ عَلَيْهِ الْكَسَلُ وَالْخَوَرُ لَمْ يَنْهَضْ لِمَكْرُمَةٍ.

وَمَنْ أَيِسَ مِنْ تَحْصِيلِ مَطَالِبِه انْشَلَّتْ حَرَكَاتُهُ وَمَاتَ وَهُوَ حَيٌّ. وَهَلْ أَخَّرَ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ إِلَّا تَفَرُّقُهُمْ، وَالتَّعَادِي بَيْنَهُمْ، وَخَوَرُهُمْ، وَتَقَاعُدُهُمْ عَنْ مَصَالِحِهِمْ وَالْقِيَامِ بِشُئُونِهِمْ، حَتَّىٰ صَارُوا عَالَةً عَلَىٰ غَيْرِهِمْ؟

وَدِينُهُمْ قَدْ حَذَّرَهُمْ عَنْ هَذَا أَشَدَّ التَّحْذِيرِ، وَحَثَّهُمْ عَلَىٰ أَنْ يَكُونُوا فِي مُقَدِّمَةِ الْأُمَمِ فِي الْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالصَّبْرِ وَالْمُصَابَرَةِ، وَالْمُثَابَرَةِ عَلَىٰ الْخَيْرِ، وَالطَّمَعِ فِي إِدْرَاكِهِ، وَقُوَّةِ الثِّقَةِ بِاللهِ فِي تَحْقِيقِ مَطَالِبِهِمْ، وَدَفْعِ مَضَارِّهِمْ، وَكَمَالِ التَّصْدِيقِ بِوَعْدِ اللهِ لَهُمْ بِالنَّصْرِ إِذَا نَصَرُوهُ، وَبِالنَّجَاحِ إِذَا سَلَكُوا سُبُلَهُ، وَبِالْإِعَانَةِ وَالتَّسْدِيدِ إِذَا كَمُلَ اعْتِمَادُهُمْ عَلَيْهِ: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾ [سورة النساء: الآية ١٠٤]»(١) .(*).

---

(١) «وُجُوب التَّعَاوُن بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ» ضمن مجموع مؤلفات السعدي: (٢٦/ ١١٣ - ١١٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (شَرْحُ وُجُوبِ التَّعَاوُنِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَمَوْضُوعُ الْجِهَادِ الدِّينِيِّ) الْمُحَاضَرَةِ الْأُولَىٰ الْأَحَدَ ٢٧ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ الْمُوَافِقَ ١/ ١٢/ ٢٠١٣م

*قَالَ ﷺ: « **إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»(١).

وَقَالَ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ**»(٢).

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْبُنْيَانَ وَأَنَّ الْجَسَدَ شَيْءٌ وَاحِدٌ مُتَمَاسِكٌ، لَيْسَ فِيهِ تَفَرُّقٌ لِأَنَّ الْبُنْيَانَ إِذَا تَفَرَّقَ سَقَطَ كَذَلِكَ الْجِسْمُ إِذَا تَفَرَّقَ فَقَدَ الْحَيَاةَ، فَلَابُدَّ مِنَ الِاجْتِمَاعِ وَأَنْ نَكُونَ أُمَّةً وَاحِدَةً أَسَاسُهَا التَّوْحِيدُ وَمَنْهَجُهَا دَعْوَةُ الرَّسُولِ ﷺ وَمَسَارُهَا عَلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.(*).

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١/ ٥٦٥، رقم ٤٨١)، ومسلم في «الصحيح»: (٤/ ١٩٩٩، رقم ٢٥٨٥)، من حديث: أَبِي مُوسَىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري: (١٠/ ٤٣٩، رقم ٦٠١١)، ومسلم: (٤/ ١٩٩٩، رقم ٢٥٨٦) واللفظ له، من حديث: النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه.

ولفظ البخاري: «تَرَىٰ الْمُؤْمِنِينَ.. » وذكره بنحوه.

وفي رواية لمسلم: (٤/ ٢٠٠٠): «الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنِ اشْتَكَىٰ رَأْسُهُ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ»، وله أيضا: «...، إِنِ اشْتَكَىٰ عَيْنُهُ اشْتَكَىٰ كُلُّهُ، وَإِنِ اشْتَكَىٰ رَأْسُهُ اشْتَكَىٰ كُلُّهُ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (أَيُّهَا الْمِصْرِيُّونَ لَا عُذْرَ لَكُمْ) ٢٩ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١١/ ١٢/ ٢٠١٥م

وَمِنَ الْقِيَمِ الَّتِي اهْتَمَّ الْقُرْآنُ بِهَا: قِيمَةُ الْحِوَارِ

وَلَوْ تَتَبَّعْنَا ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ لَوَجَدْنَا الْعَجَبَ الْعُجَابَ، وَلْنَضْرِبْ لِذَلِكَ مِثَالَيْنِ:

الْمِثَالُ الْأَوَّلُ: رَسُولُ اللهِ إِبْرَاهِيمُ ﷺ:

لَقَدْ «رفَعَ اللهُ خَلِيلَهُ إِبْرَاهِيمَ بِالْعِلْمِ وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ، وَعَجَزُوا عَنْ نَصْرِ بَاطِلِهِمْ؛ وَلَكِنَّهُمْ صَمَّمُوا عَلَىٰ الْإِقَامَةِ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَنْفَعْ فِيهِمُ الْوَعْظُ وَالتَّذْكِيرُ وَإِقَامَةُ الْحُجَجِ، فَلَمْ يَزَلْ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ، وَيَنْهَاهُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ نَهْيًا عَامًّا وَخَاصًّا، وَأَخَصُّ مَنْ دَعَاهُ أَبُوه آزَرُ؛ فَإِنَّهُ دَعَاهُ بِعِدَّةِ طُرُقٍ نَافِعَةٍ، وَلَكِنْ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦ - ٩٧]

فَمِنْ جُمْلَةِ مَقَالَاتِهِ لِأَبِيهِ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ [مريم: ٤٢ - ٤٣]

انْظُرْ إِلَىٰ حُسْنِ هَذَا الْخِطَابِ الْجَاذِبِ لِلْقُلُوبِ: لَمْ يَقُلْ لِأَبِيهِ: إِنَّكَ جَاهِلٌ؛ لِئَلَّا يَنْفِرَ مِنَ الْكَلَامِ الْخَشِنِ، بَلْ قَالَ لَهُ هَذَا الْقَوْلَ: ﴿فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٣ - ٤٥]

فَانْتَقَلَ بِدَعْوَتِهِ مِنْ أُسْلُوبٍ لِآخَرَ لَعَلَّهُ يَنْجَعُ فِيهِ أَوْ يُفِيدُ، وَلَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ قَالَ لَهُ أَبُوهُ: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦]

هَذَا وَإِبْرَاهِيمُ لَمْ يَغْضَبْ وَلَمْ يُقَابِلْ أَبَاهُ بِبَعْضِ مَا قَالَ، بَلْ قَابَلَ هَذِهِ الْإِسَاءَةَ الْكُبْرَىٰ بِالْإِحْسَانِ فَقَالَ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ [مريم: ٤٧]

أَيْ: لَا أَتَكَلَّمُ مَعَكَ إِلَّا بِكَلَامٍ طَيِّبٍ لَا غَلْظَةَ فِيهِ وَلَا خُشُونَةَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَسْتُ بِآيِسٍ مِنْ هِدَايَتِكَ: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]

أَيْ: بَرًّا رَحِيمًا قَدْ عَوَّدَنِي لُطْفُهُ وَأَجْرَانِي عَلَىٰ عَوَائِدِهِ الْجَمِيلَةِ، وَلَمْ يَزَلْ لِدُعَائِي مُجِيبًا.

فَلَمْ يَزَلْ إِبْرَاهِيمُ مَعَ قَوْمِهِ فِي دَعْوَةٍ وَجِدَالٍ، وَقَدْ أَفْحَمَهُمْ وَكَسَرَ جَمِيعَ حُجَجِهِمْ وَشُبَهِهِمْ، فَأَرَادَ ﷺ أَنْ يُقَاوِمَهُمْ بِأَعْظَمِ الْحِجَجِ، وَأَنْ يَصْمُدَ لِبَطْشِهِمْ وَجَبَرُوتِهِمْ وَقُدْرَتِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ، غَيْرَ هَائِبٍ وَلَا وَجِلٍ، فَلَمَّا خَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ لِعِيدٍ مِنْ أَعْيَادِهِمْ وَخَرَجَ مَعَهُمْ، فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ: إِنِّي سَقِيمٌ؛ لِأَنَّهُ خَشِيَ إِنْ تَخَلَّفَ لِغَيْرِ هَذِهِ الْوَسِيلَةِ لَمْ يُدْرِكْ مَطْلُوبَهُ؛ لِأَنَّهُ تَظَاهَرَ بِعَدَاوَتِهَا وَالنَّهْيِ الْأَكِيدِ عَنْهَا وَجِهَادِ أَهْلِهَا.

فَلَمَّا بَرَزُوا جَمِيعًا إِلَىٰ الصَّحْرَاءِ كَرَّ رَاجِعًا إِلَىٰ بَيْتِ أَصْنَامِهِمْ، فَجَعَلَهَا جُذَاذًا كُلَّهَا إِلَّا صَنَمًا كَبِيرًا أَبْقَىٰ عَلَيْهِ لِيُلْزِمَهُمْ بِالْحُجَّةِ، فَلَمَّا رَجَعُوا مِنْ عِيدِهِمْ بَادَرُوا إِلَىٰ أَصْنَامِهِمْ صَبَابَةً وَمَحَبَّةً، فَرَأَوْا فِيهَا أَفْظَعَ مَنْظَرٍ رَآهُ أَهْلُهَا فَقَالُوا: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٩ - ٦٠]

أَيْ: يَعِيبُهَا وَيَذْكُرُهَا بِأَوْصَافِ النَّقْصِ وَالسُّوءِ: ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠]

فَلَمَّا تَحَقَّقُوا أَنَّهُ الَّذِي كَسَرَهَا: ﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٦١] يَشْهَدُونَ الثَّأْرَ لِلْآلِهَةِ وَأَمَّا الْآلِهَةُ فَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهَا!

لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ أَيْ: بِحَضْرَةِ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ، وَوَبَّخُوهُ أَشَدَّ التَّوْبِيخِ ثُمَّ نَكَّلُوا بِهِ، وَهَذَا الَّذِي أَرَادَ إِبْرَاهِيمُ؛ لِيَظْهَرَ الْحَقَّ بِمَرْأَىٰ الْخَلْقِ وَمَسْمَعِهِمْ، فَلَمَّا جَمَعَ النَّاسَ وَحَضَرُوا، وَأَحْضَرُوا إِبْرَاهِيمَ قَالُوا: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٢ - ٦٣]

مُشِيرًا إِلَىٰ الصَّنَمِ الَّذِي سَلِمَ مِنْ تَكْسِيرِهِ، وَهُمْ فِي هَذِهِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَعْتَرِفُوا بِالْحَقِّ، وَأَنَّ هَذَا لَا يَدْخُلُ عَقْلَ أَحَدٍ أَنَّ جَمَادًا مَعْرُوفًا أَنَّهُ مَصْنُوعٌ مِنْ مَوَادَّ مَعْرُوفَةٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا الْفِعْلَ، إِمَّا أَنْ يَعْتَرِفُوا بِذَلِكَ وَإِمَّا أَنْ يَقُولُوا: نَعَمْ هُوَ الَّذِي فَعَلَهَا وَأَنْتَ سَالِمٌ نَاجٍ مِنْ تَبِعَتِهَا، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ الِاحْتِمَالَ الْأَخِيرَ.

قَالَ: فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ، وَهَذَا تَعْلِيقٌ بِالْأَمْرِ الَّذِي يَعْتَرِفُونَ أَنَّهُ مُحَالٌ، فَحِينَئِذٍ ظَهَرَ الْحَقُّ وَبَانَ، وَاعْتَرَفُوا هُمْ بِالْحَقِّ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ، ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ، أَيْ: مَا كَانَ اعْتِرَافُهُمْ بِبُطْلَانِ إِلَهِيَّتِهَا إِلَّا وَقْتًا قَصِيرا ظَهَرَتْ الْحُجَّةُ مُبَاشَرَةً(وَهِيَ مَا يُمْكِنُ أَنْ تَقُولَ عَنْهُ بِالْمُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ: صَدْمَةُ الْوَعْيِ).

وَالْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ أَعْلَىٰ وَأَجَلُّ، ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ، أَيْ: مَا كَانَ اعْتِرَافُهُمْ بِبُطْلَانِ إِلَهِيَّتِهَا إِلَّا وَقْتًا قَصِيرًا ظَهَرَتْ الْحُجَّةُ مُبَاشَرَةً الَّتِي لَا يُمْكِنُ مُكَابَرَتُهَا، وَلَكِنْ مَا أَسْرَعَ مَا عَادَتْ عَلَيْهِمْ عَقَائِدُهُمُ الْبَاطِلَةُ الَّتِي رَسَخَتْ فِي قُلُوبِهِمْ، وَصَارَتْ صِفَاتٍ مُلَازِمَةً، إِنْ وُجِدَ مَا يُنَافِيهَا فَإِنَّمَا هُوَ عَارِضٌ يَعْرِضُ ثُمَّ يَزُولُ:

﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥]

فَكَيْفَ تَعْبُدُونَهُمْ إِذَنْ؟!

فَحِينَئِذٍ وَبَّخَهُمْ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ الَّتِي اعْتَرَفَ بِهَا الْخُصُومُ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦ - ٦٧]

فَلَوْ كَانَ لَكُمْ عُقُولٌ صَحِيحَةٌ لَمْ تُقِيمُوا عَلَىٰ عِبَادَةِ مَا لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ مَنْ يُرِيدُهُ بِسُوءٍ، فَلَمَّا أَعْيَتْهُمُ الْمُقَاوَمَةُ بِالْبَرَاهِينِ وَالْحُجَجِ عَدَلُوا إِلَىٰ اسْتِعْمَالِ قُوَّتِهِمْ وَبَطْشِهِمْ وَجَبَرُوتِهِمْ فِي عُقُوبَةِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالُوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:٦٨].

فَأَوْقَدُوا نَارًا عَظِيمَةً جِدًّا فَأَلْقَوْهُ بِهَا، فَقَالَ وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالِ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلِ، فَقَالَ اللهُ لِلنَّارِ: ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]

فَلَمْ تَضُرَّهُ بِشَيْءٍ، ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ [الأنبياء:٧٠] لِيَنْصُرُوا آلِهَتَهُمْ، وَيُقِيمُوا لَهَا فِي قُلُوبِهِمْ وَقُلُوبِ أَتْبَاعِهِمْ الْخُضُوعَ وَالتَّعْظِيمَ، فَكَانَ مَكْرُهُمْ وَبَالًا عَلَيْهِمْ،

وَكَانَ انْتِصَارُهُمْ لِآلِهَتِهِمْ نَصْرًا عَظِيمًا عِنْدَ الْحَاضِرِينَ وَالْغَائِبِينَ وَالْمَوْجُودِينَ وَالْحَادِثِينَ عَلَيْهِمْ.

وَانْتَصَرَ الْخَلِيلُ عَلَىٰ الْخَوَاصِّ وَالْعَوَامِّ وَالرُّؤَسَاءِ وَالْمَرْؤُوسِينَ حَتَّىٰ إِنَّ مَلِكَهُمْ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ بَغْيًا وَطُغْيَانًا، ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]

فَأَلْزَمَهُ الْخَلِيلُ بِطَرْدِ دَلِيلِهِ بِالتَّصَرُّفِ الْمُطْلَقِ، فَقَالَ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]»(١). (*).

رَسُولُ اللهِ مُوسَى عليه السلام:

وَانْظُرْ إِلَى نَبِيِّ اللهِ مُوسَى عليه السلام **فِي حِوَارِهِ مَعَ فِرْعَوْنَ:**

*﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء:٢٣-٢٩]

---

(١) «تيسير اللطيف المنان»: (ص ٢٠٠ - ٢٠٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ(شَرْحُ تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) الْمُحَاضَرَةِ (١٤) السَّبْتَ ٢٩ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٣٤هـ الْمُوَافِقَ ٥/ ١٠/ ٢٠١٣م

«قَالَ فِرْعَوْنُ: مَا حَقِيقَةُ ذَاتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ رَسُولُهُ؟ فَأَعْرَضَ مُوسَىٰ عَنْ إِجَابَةِ فِرْعَوْنَ عَنْ حَقِيقَةِ ذَاتِهِ ﷻ وَسَمَت عَنِ الْإِدْرَاكِ ذَاتِهِ، لِأَنَّ حَقِيقَةَ ذَاتِهِ لَا يَسْتَطِيعُ الْبَشَرُ إِدْرَاكَهَا.

قَالَ مُوسَىٰ: رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَمَّدَهُمَا بِعَطَاءَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ دَوَامًا، إِنْ كُنْتُمْ مُسْتَعِدِّينَ لِأَنْ تُفَكِّرُوا فِي الْحَقَائِقِ الَّتِي أَعْرِضُهَا عَلَيْكُمْ، فَتُوقِنُوا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ عَنْ طَرِيقِ الْبَرَاهِينِ وَالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، فَإِذَا كُنْتُمْ غَيْرَ مُسْتَعِدِّينَ لِأَنْ تُفَكِّرُوا فَتُوقِنُوا مُسْتَقْبَلًا، فَإِنَّ بَيَانِي هَذَا لَنْ يُغَيِّرَ مِنْ جُحُودِكُمْ لِرَبِّكُمْ شَيْئًا مَهْمَا قَدَّمْتُ لَكُمْ مِنْ أَدِلَّةٍ.

قَالَ فِرَعْوَنُ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَشْرَافِ قَوْمِهِ: أَلَا تَسْتَمِعُونَ لِجَوَابِهِ؟ إِنِّي أَطْلُبُ مِنْهُ الْإِجَابَةَ عَنِ الْمَاهِيَّةِ وَهُوَ يُجِيبُنِي بِأَفْعَالِهِ وَآثَارِهِ.

قَالَ مُوسَىٰ: إِنَّهُ خَالِقُكُمْ وَخَالِقُ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ، الَّذِينَ مَاتُوا عَنِ انْتِهَاءِ آجَالِهِمْ، فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ مَنْ هُوَ مَخْلُوقٌ مِثْلُكُمْ وَلَهُ آبَاءٌ قَدْ فَنَوْا كَآبَائِكُمْ؟

قَالَ فِرْعَوْنُ: إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي يَدَّعِي الرِّسَالَةَ مَجْنُونٌ لَا يَفْهَمُ السُّؤَالَ فَضْلًا عَنْ أَنْ يُجِيبَ عَنْهُ وَيَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ لَا نَقْبَلُهُ وَلَا نَعْرِفُ صِحَّتَهُ.

قَالَ مُوسَىٰ: الرَّبُّ الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ هُوَ الْمُدَبِّرُ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، لِمَكَانِ شُرُوقِ الشَّمْسِ وَغُرُوبِهَا، وَلِزَمَانِ الشُّرُوقِ وَالْغُرُوبِ، وَهُوَ رَبُّ كُلِّ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مِنْ ظُلْمَةٍ وَضِيَاءٍ، وَأَحْيَاءٍ وَبَشَرٍ، وَرِيَاحٍ وَسُحُبٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

إِنْ كُنْتُمْ تُدْرِكُونَ حَقِيقَةَ رُبُوبِيَّتِهِ لِلْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَحَسْبُكُمْ أَنْ تَدُلَّكُمْ الظَّوَاهِرُ عَلَىٰ صِفَاتِهِ، وَمَا لَكُمْ وَالْبَحْثِ عَنْ ذَاتِهِ؟

قَالَ فِرْعَوْنُ حِينَ لَزِمَتْهُ الْحُجَّةُ وَانْقَطَعَ عَنِ الْجَوَابِ: أُقْسِمُ لَئِنِ اتَّخَذْتَ يَا مُوسَىٰ مَعْبُودًا تَعْبُدُه غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ»[1].[*].

❁ ❁ ❁

(١) «المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين»: (ص ٣٦٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) سُورَةِ الشُّعَرَاءِ الْأَحَدَ ١٩ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١/ ١١/ ٢٠١٥م وَالِاثْنَيْنِ ٢٠ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٢/ ١١/ ٢٠١٥م

وَمِنَ الْقِيَمِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ: قِيمَةُ التَّفَكُّرِ

*قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]

«﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ هَذِهِ فِي ارْتِفَاعِهَا وَاتِّسَاعِهَا، وَهَذِهِ فِي انْخِفَاضِهَا وَكَثَافَتِهَا وَاتِّضَاعِهَا، وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ الْمُشَاهَدَةِ الْعَظِيمَةِ مِنْ كَوَاكِبَ سَيَّارَاتٍ، وَثَوَابِتَ وَبِحَارٍ وَجِبَالٍ وَقِفَارٍ وَأَشْجَارٍ وَنَبَاتٍ، وَزُرُوعٍ وَثِمَارٍ، وَحَيَوَانٍ وَمَعَادِنَ، وَمَنَافِعَ مختلفة الألوان والروائح والطعوم وَالْخَوَاصِّ.

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أَيْ تَعَاقُبُهُمَا وَتَقَارُضُهُمَا الطُّولَ وَالْقِصَرَ، فَتَارَةً يَطُولُ هَذَا وَيَقْصُرُ هَذَا، ثُمَّ يَعْتَدِلَانِ ثُمَّ يَأْخُذُ هَذَا مِنْ هَذَا فَيَطُولُ الَّذِي كَانَ قَصِيرًا، وَيَقْصُرُ الَّذِي كَانَ طويلا. وكل ذلك تقدير العزيز العليم.

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أَيِ الْعُقُولِ التَّامَّةِ الذَّكِيَّةِ الَّتِي تُدْرِكُ الْأَشْيَاءَ بِحَقَائِقِهَا عَلَىٰ جَلِيَّاتِهَا، وَلَيْسُوا كَالصُّمِّ الْبُكْمِ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ،

الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يُوسُفَ: ١٠٥-١٠٦]

ثُمَّ وَصَفَ تَعَالَىٰ أُولِي الْأَلْبَابِ، فَقَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ(١) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبٍ**» أَيْ لَا يَقْطَعُونَ ذِكْرَهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ بِسَرَائِرِهِمْ وَضَمَائِرِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَيْ يَفْهَمُونَ مَا فِيهِمَا مِنَ الْحِكَمِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ عَظَمَةِ الْخَالِقِ وَقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ وَرَحْمَتِهِ.

وَقَدْ ذَمَّ اللهُ تَعَالَىٰ مَنْ لَا يَعْتَبِرُ بِمَخْلُوقَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدْرِهِ وَآيَاتِهِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يُوسُفَ: ١٠٥-١٠٦] وَمَدَحَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قَائِلِينَ ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ أَيْ مَا خَلَقْتَ هَذَا الْخَلْقَ عَبَثًا، بل بالحق لتجزي الذين أساؤوا بِمَا عَمِلُوا، وَتَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ. ثُمَّ نَزَّهُوهُ عَنِ الْعَبَثِ وَخَلْقِ الْبَاطِلِ، فَقَالُوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أَيْ عَنْ أَنْ تَخْلُقَ شَيْئًا بَاطِلًا: ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ أَيْ يَا مَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، يَا مَنْ هُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ النَّقَائِصِ وَالْعَيْبِ وَالْعَبَثِ، قِنَا مِنْ

(١) أخرجه البخاري: (٢/ ٥٨٧، رقم ١١١٧).

عَذَابِ النَّارِ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ وَقَيِّضْنَا لِأَعْمَالٍ تَرْضَىٰ بِهَا عَنَّا، وَوَفِّقْنَا لِعَمَلٍ صَالِحٍ تَهْدِينَا بِهِ إِلَىٰ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَتُجِيرُنَا بِهِ مِنْ عَذَابِكَ الْأَلِيمِ»(١).(*).

*اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ الْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةَ مَبْثُوثَةً فِي تَضَاعِيفِ الْخَلْقِ، فَأَنَّىٰ وَجَّهَ الْإِنْسَانُ نَظَرَهُ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الدَّالَّةِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ وَشُمُولِ قُدْرَتِهِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِهِ الْمُثْلَىٰ، رَأَىٰ مِنَ الْآيَاتِ مَا يَعْجَزُ الْعَقْلُ عَنْ عَدِّهِ، فَإِنَّهَا مَبْثُوثَةٌ فِي الْكَوْنِ ظَاهِرًا، وَأَمَّا مَا خَفِيَ مِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ فِي تَضَاعِيفِ تِلْكَ الْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ فَشَيْءٌ لَا يُحِيطُ بِهِ عِلْمًا إِلَّا اللهُ.

وَمِمَّا يَزِيدُ الْإِيمَانَ فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يُدِيمَ النَّظَرَ فِي آيَاتِ اللهِ الْمَسْطُورَةِ، وَأَنْ يُدِيمَ النَّظَرَ فِي آيَاتِ اللهِ الْمَنْظُورَةِ، فَالنَّظَرُ فِي الْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، فِي كِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا الْمُنَزَّلِ عَلَىٰ قَلْبِ الرَّسُولِ ﷺ هُوَ كَلَامُ اللهِ(تي) أَوْحَاهُ وَأَنْزَلَهُ، النَّظَرُ فِي الْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنَّظَرُ فِي الْكِتَابِ الْمَنْظُورِ وَهُوَ مَا بَثَّهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَفِي الْبِحَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَفِي الصَّحَارِي وَالْقِفَارِ، وَفِي الْجِبَالِ وَالْوِهَادِ وَالنُّجُودِ وَالْأَغْوَارِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَصَارِيفِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي كَوْنِهِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ حَتَّىٰ فِي الْجِنْسِ الْوَاحِدِ، فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ اثْنَيْنِ مِنْ بَنِي آدَمَ قَدْ تَطَابَقَا تَطَابُقًا تَامًّا.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير: (٢/ ١٨٤- ١٨٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ تَفْسِيرِ (سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ) الْمُحَاضَرَةِ (١٩) الثُّلَاثَاءَ ١١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٨هـ الْمُوَافِقَ ٦/ ٦/ ٢٠١٧م

وَلَكِنْ يَجْعَلُ اللهُ مِنَ الْفُرُوقِ بَيْنَهُمَا وَلَوْ كَانُوا تَوْأَمَيْنِ مِنْ بُوَيْضَةٍ وَاحِدَةٍ، لَكِنَّ اللهَ يَجْعَلُ مِنَ الْفُرُوقِ بَيْنَهُمَا مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ، فَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْعَلَ لِهَذِهِ الْمَجَالِي الْعَظِيمَةِ وَالْمَرَائِي الْكَرِيمَةِ، مِنْ نُجُومِ السَّمَاءِ الْمُزَيِّنَةِ لِصَفْحَتِهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَلِلسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلِلْبِحَارِ الْهَادِرَةِ بِأَمْوَاهِهَا وَأَمْوَاجِهَا، وَلِلصَّحَارِي الْمُتَرَامِيَةِ بِرِمَالِهَا وَكُثْبَانِهَا.

وَكَذَلِكَ لِلْخَلَائِقِ وَالْمَخْلُوقَاتِ فِي تَنَوُّعِهَا وَفِي مَظَاهِرِهَا، عَلَىٰ الْمَرْءِ أَنْ يَجْعَلَ لِهَذِهِ كُلِّهَا حَظًّا وَنَصِيبًا مِنَ النَّظَرِ، فَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ جَعَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، لِأَنَّهُمْ الَّذِينَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ

وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ الْعَقْلَ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالنُّهَىٰ هَؤُلَاءِ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَهَذَا حَالُ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَذْكُرُ اللهَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ»(١)، بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ ﷺ «تَنَامُ عَيْنَايَ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم: (١/ ٢٨٢، رقم ٣٧٣)، بلفظ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ أَحْيَانِهِ».

(٢) أخرجه البخاري: (٦/ ٥٧٩، رقم ٣٥٦٩)، ومسلم: (١/ ٥٠٩، رقم ٧٣٨)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْأَخْذِ بِهَذَا الْأَصْلِ الْكَرِيمِ فَإِنَّهُ الَّذِي يَجْمَعُ لَهُ شَتَاتَ الْأُمُورِ وَهُوَ الَّذِي يَجْعَلُ أَمْرَهُ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَكُونَ فَرْطًا جَمْعًا مَجْمُوعًا).(*).

*«وَمِنْ أَسْبَابِ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ: النَّظَرُ فِي آيَاتِ اللهِ الْكَوْنِيَّةِ وَآيَاتِ اللهِ الشَّرْعِيَّةِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية:١٧-٢٠]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١]

كُلَّمَا ازْدَادَ الْإِنْسَانُ عِلْمًا بِمَا أَوْدَعَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْكَوْنِ مِنْ عَجَائِبِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَمِنَ الْحِكَمِ الْبَالِغَاتِ الْبَاهِرَاتِ، ازْدَادَ إِيمَانًا بِاللهِ ﷻ، وَكَذَلِكَ النَّظَرُ فِي آيَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الشَّرْعِيَّةِ يَزِيدُ الْإِنْسَانَ إِيمَانًا بِاللهِ ﷻ، لِأَنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَىٰ الْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَهِيَ الْأَحْكَامُ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرُّسُلُ، وَجَدْتَ فِيهَا مَا يُبْهِرُ الْعُقُولَ، مِنَ الْحِكَمِ الْبَالِغَةِ، وَالْأَسْرَارِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي تَعْرِفُ بِهَا أَنَّ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ نَزَلَتْ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَىٰ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَحِينَئِذٍ يَزِيدُ إِيمَانُكَ»(٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ سُورَةُ آل عِمْرانَ (٥) الْخَمِيسَ ٨ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٦هـ الْمُوَافِقَ ٢٥/ ٦/ ٢٠١٥ م

(٢) شرح «العقيدة الواسطية» ضمن مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين: (٨/ ٥٧٧).

وَإِذَا مَا نَظَرْتَ فِيمَا أَوْدَعَ اللهُ تَعَالَىٰ وَبَثَّ فِي تَضَاعِيفِ الْكَوْنِ مِنَ الْأَسْرَارِ الْبَاهِرَةِ، وَالْحِكَمِ الْبَالِغَةِ، ازْدَادَ يَقِينُكَ وَإِيمَانُكَ، لِأَنَّكَ تَزْدَادُ مَعْرِفَةً بِرَبِّكَ، وَإِذَا مَا تَأَمَّلْتَ فِي صَفْحَةِ الْكَوْنِ، وَنَظَرْتَ فِي أَسْرَارِهِ، ازْدَادَتْ مَعْرِفَتُكَ بِصِفَاتِ الْخَلَّاقِ الْعَظِيمِ فِي مَجَالَيِ الْعَظَمَةِ الَّتِي تَتَأَمَّلُ فِيهَا وَتَسْرَحُ فِيهَا بِبَصَرِكِ وَعَيْنِ بَصِيرَتِكَ، وَكَذَلِكَ عِنْدَ نَظَرِكَ فِي آيَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمَتْلُوَّةِ، وَالْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، لِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْحِكَمِ الْبَالِغَاتِ، إِذَا فَعَلْتَ ازْدَادَ إِيمَانُكَ بِفَضْلِ اللهِ.(*).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ (شَرْحُ أُصُولِ السُّنَّةِ) الْجُزْءُ الْأَوَّلُ ص٥٦٤- ٥٦٥

وَمِنَ الْقِيَمِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا الْقُرْآنُ: الْعَفْوُ عَنِ النَّاسِ

*«وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ: الْحَثُّ عَلَىٰ الْعَفْوِ عَنِ الْمُعْتَدِي، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟﴾ [النور: ٢٢].

وَقَالَ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

وَقَالَ: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]»(١). (*).

وَمِنْ أَرْقَى الصُّوَرِ وَأَعْلَاهَا فِي الْعَفْوِ وَالتَّسَامُحِ مَا فَعَلَهُ يُوسُفُ عليه السلام مَعَ إِخْوَتِهِ:

*«قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا عَنْ قَوْلِ يَعْقُوبَ عليه السلام: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ

(١) «موارد الظمآن لدروس الزمان»: (٦/ ٣٨٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (مَحَاسِنُ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ١) الثُّلَاثَاءَ ٦ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٥هـ الْمُوَافِقَ ٧/ ١/ ٢٠١٥م

وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٨٧-٩٢].

أَيْ: قالَ يَعْقُوبُ عليه السلام لِبَنِيهِ ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ أي: احْرِصُوا واجْتَهِدُوا علىٰ التَّفْتِيشِ عَنْهُمَا ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ فَإِنَّ الرَّجَاءَ يُوجِبُ للعَبْدِ السَّعْيَ والاجْتِهَادَ فَيمَا رَجَاهُ، وَأَمَّا الإيَاسُ: فَيُوجِبُ له التَّثَاقُلَ والتَّبَاطُؤَ، وأَوْلَىٰ مَا رَجَا العِبَادُ فَضْلَ اللهِ وَإِحْسَانَهُ، وَرَحْمَتَهُ ورَوْحُهُ.

﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: فَإِنَّهُم -لِكُفْرِهِم- يَسْتَبْعِدُونَ رَحْمَتَهُ، وَرَحْمَتُهُ بَعِيدَةٌ مِنْهُمْ، فَلَا تَتَشَبَّهُوا بِالكافِرِينَ، وَدَلَّ هَذَا عَلَىٰ أَنَّهُ بِحَسَبِ إيمَانِ العَبْدِ، يَكُونُ رَجَاؤُهُ لِرَحْمَةِ اللهِ وَرَوْحِهِ.

فَذَهَبُوا، ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟﴾ مُتَضَرِّعِينَ إِلَيْهِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ أَيْ: قَدِ اضْطُرِرْنَا نَحْنُ وَأَهْلُنَا وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مَدْفُوعَةٍ مَرْغُوبٍ عَنْهَا، لِقِلَّتِهَا، وَعَدَمِ وُقُوعِهَا المَوْقِعَ ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾ مَعَ عَدَمِ وَفَاءِ العِوَضِ، ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ بِالزِّيَادَةِ عَنِ الْوَاجِبِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ بِثَوَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَلَمَّا انْتَهَىٰ الْأَمْرُ، وَبَلَغَ أَشُدَّهُ، رَقَّ لَهُمْ يُوسُفُ رِقَّةً شَدِيدَةً، وَعَرَّفَهُم بِنَفْسِهِ، وَعَاتَبَهُم فَقَالَ: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ أَمَّا يُوسُفُ فَظَاهِرٌ فِعْلُهم فِيهِ، وأَمَّا أَخُوهُ، فَلَعَلَّهُ -واللهُ أَعْلَمُ- قَوْلُهُم: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٧٧]، أَوْ أَنَّ الْحَادِثَ الذي فَرَّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ، هُمُ السَّبَبُ فِيهِ، وَهُم الْأَصْلُ المُوجِبُ لَهُ.

﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾: وَهَذَا نَوْعُ اعْتِذَارٍ لَهُم بِجَهْلِهِم، أو تَوْبِيخٌ لَهُم إِذْ فَعَلُوا فِعْلَ الجَاهِلِينَ، مَعَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي وَلَا يَلِيقُ مِنْهُمْ.

فَعَرَفُوا أَنَّ الَّذِي خَاطَبَهُمْ هُوَ يُوسُفُ، فَقَالُوا: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ بِالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ، وَالتَّمْكِينِ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ بِسَبَبِ الصَّبْرِ وَالتَّقْوَىٰ فـ ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ أَيْ: يَتَّقِي فِعْلَ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَيَصْبِرُ علىٰ الْآلَامِ وَالْمَصَائِبِ، وَعَلَىٰ الْأَوَامِرِ بِامْتِثَالِهَا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْإِحْسَانِ، وَاللهُ لا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أَيْ: فَضَّلَكَ عَلَيْنَا بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الشِّيَمِ، وَأَسْأَنَا إِلَيْكَ غَايَةَ الْإِسَاءَةِ، وحَرَصْنَا عَلَىٰ إِيصَالِ الأَذَىٰ إِلَيْكَ، وَالتَّبْعِيدِ لَكَ عَنْ أَبِيكَ، فَآثَرَكَ اللهُ تَعَالَىٰ وَمَكَّنَكَ مِمَّا تُرِيدُ ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾: وهَذَا غَايَةُ الِاعْتِرَافِ مِنْهُمْ بالجُرْمِ الْحَاصِلِ مِنْهُمْ عَلَىٰ يُوسُفَ.

فَقَالَ لَهُمْ يُوسُفُ عليه السلام كَرَمًا وَجُودًا: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ﴾ أَيْ: لَا أُثَرِّبُ عَلَيْكُم وَلَا أَلُومُكُمْ ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

فَسَمَحَ لَهُم سَمَاحًا تَامًّا، مِن غَيْرِ تَعْيِيرٍ لَهُم عَلَىٰ ذِكْرِ الذَّنْبِ السَّابِقِ، وَدَعَا لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَهَذَا نِهَايَةُ الْإِحْسَانِ الَّذِي لَا يَتَأَتَّىٰ إِلَّا مِنْ خَوَاصِّ الخَلْقِ، وَخِيَارِ المُصْطَفَيْنَ»(١).(*).

وَمِنْ أَرْقَى الصُّوَرِ وَأَعْلَاهَا فِي الْعَفْوِ وَالتَّسَامُحِ مَا فَعَلَهُ أَبُوبَكْرٍ رضي الله عنه مَعَ مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ رضي الله عنه:

*«قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾: (أَيْ لَا يَحْلِفُ) ﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ [النور:٢٢] كَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْخَائِضِينَ فِي الْإِفْكِ (مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ) وَهُوَ قَرِيبٌ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه وَكَانَ مِسطَحٌ فَقِيرًا مِنَ المُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَحَلَف أَبو بَكرٍ أَلَّا يُنْفِقَ عَلَيْهِ لِقَوْلِهِ الَّذِي قَالَ.

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة يَنهَاهُ عَنْ هَذَا الْحَلِفِ المُتضَمِّنِ لِقَطْعِ النَّفَقَة عَنهُ، وَيُحِثُّه علَىٰ الْعَفوِ وَالصَّفْحِ، وَيَعِدهُ بِمَغْفِرَةِ اللهِ إِنْ غَفَرَ لَهُ فقَالَ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إِذَا عَامَلْتُمْ عَبِيدَهُ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَامَلَكُم بِذَلِك.

فَقَالَ أَبُو بَكرٍ لمَّا سَمِعَ هَذِهِ الْآيَة «بَلَىٰ وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي» فَرَجَعَ النَّفَقَةَ إِلَىٰ مِسْطَحٍ.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص ٤٠٤ - ٤٠٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ(التَّسَامُحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ) الْجُمُعَةَ ١١ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٨هـ الْمُوَافِقَ ١٠/ ٣/ ٢٠١٧م

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَليلٌ عَلَىٰ النَّفقَةِ عَلَىٰ القَريبِ، وَأَنَّهُ لَا تُترَكُ النَّفَقَةُ وَالإِحْسَانُ بِمَعصِيَةِ الإِنسَانِ، وَالحَثُّ عَلَىٰ العَفْوِ وَالصَّفحِ وَلوْ جَرَىٰ مِنْهُ مَا جَرَىٰ مِنْ أَهْلِ الجَرَائِمِ»(١). (*).

وقَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

«أَمَرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ مَغْفِرَتِهِ، وَإِدْرَاكِ جَنَّتِهِ الَّتِي عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، فَكَيْفَ بِطُولِهَا، الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَىٰ لِلْمُتَّقِينَ، فَهُمْ أَهْلُهَا، وَأَعْمَالُ التَّقْوَىٰ هِيَ الْمُوصِلَةُ إِلَيْهَا.

ثُمَّ وَصَفَ الْمُتَّقِينَ وَأَعْمَالَهُمْ؛ فَقَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾؛ أَيْ: فِي حَالِ عُسْرِهِم وَيُسْرِهِمْ، إِنْ أَيْسَرُوا أَكْثَرُوا مِنَ النَّفَقَةِ، وَإِنْ أَعْسَرُوا لَمْ يَحْتَقِرُوا مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ قَلَّ.

﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾؛ أَيْ: إِذَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ أَذِيَّةٌ تُوجِبُ غَيْظَهُمْ -وَهُوَ امْتِلَاءُ قُلُوبِهِمْ مِنَ الْحَنَقِ الْمُوجِبِ لِلِانْتِقَامِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ-،

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص ٥٦٤ - ٥٦٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (حَرْبُ الشَّائِعَاتِ) ٢٢ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٢٩/ ٤/ ٢٠١٦م

هَؤُلَاءِ لَا يَعْمَلُونَ بِمُقْتَضَىٰ الطِّبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ، بَلْ يَكْظِمُونَ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْغَيْظِ، وَيَصْبِرُونَ عَنْ مُقَابَلَةِ الْمُسِيءِ إِلَيْهِمْ.

﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾: يَدْخُلُ فِي الْعَفْوِ عَنِ النَّاسِ، الْعَفْوُ عَنْ كُلِّ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ.

وَالْعَفْوُ أَبْلَغُ مِنَ الْكَظْمِ؛ لِأَنَّ الْعَفْوَ تَرْكُ الْمُؤَاخَذَةِ مَعَ السَّمَاحَةِ عَنِ الْمُسِيءِ.

وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ مِمَّنْ تَحَلَّىٰ بِالْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ، وَتَخَلَّىٰ مِنَ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ.

وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ مِمَّنْ تَاجَرَ مَعَ اللهِ، وَعَفَا عَنْ عِبَادِ اللهِ؛ رَحْمَةً بِهِمْ، وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمْ، وَكَرَاهَةً لِحُصُولِ الشَّرِّ عَلَيْهِمْ، وَلِيَعْفُوَ اللهُ عَنْهُ، وَلِيَكُونَ أَجْرُهُ عَلَىٰ رَبِّهِ الْكَرِيمِ، لَا عَلَىٰ الْعَبْدِ الْفَقِيرِ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ٤٠].

ثُمَّ ذَكَرَ حَالَةً أَعَمَّ مِنْ غَيْرِهَا، وَأَحْسَنَ، وَأَعْلَىٰ، وَأَجَلَّ، وَهِيَ الْإِحْسَانُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وَالْإِحْسَانُ نَوْعَانِ:

الْإِحْسَانُ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ.

وَالْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْمَخْلُوقِ.

فَالْإِحْسَانُ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ فَسَّرَهَا النَّبِيُّ ﷺ -كَمَا فِي «الصَّحِيحِ»[(١)]-، فَقَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

وَأَمَّا الْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْمَخْلُوقِ: فَهُوَ إِيصَالُ النَّفْعِ الدِّينِيِّ وَالدُّنْيَوِيِّ إِلَيْهِمْ، وَدَفْعُ الشَّرِّ الدِّينِيِّ وَالدُّنْيَوِيِّ عَنْهُمْ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ أَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْلِيمُ جَاهِلِهِمْ، وَوَعْظُ غَافِلِهِمْ، وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَّتِهِمْ وَخَاصَّتِهِمْ.

وَالسَّعْيُ فِي جَمْعِ كَلِمَتِهِمْ، وَإِيصَالُ الصَّدَقَاتِ وَالنَّفَقَاتِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ إِلَيْهِمْ، عَلَىٰ اخْتِلَافِ أَحْوَالِهِمْ، وَتَبَايُنِ أَوْصَافِهِمْ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ: بَذْلُ النَّدَىٰ، وَكَفُّ الْأَذَىٰ، وَاحْتِمَالُ الْأَذَىٰ، كَمَا وَصَفَ اللهُ بِهِ الْمُتَّقِينَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ.

فَمَنْ قَامَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ؛ فَقَدْ قَامَ بِحَقِّ اللهِ وَحَقِّ عِبَادِهِ»[(٢)].(*).

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري: (١/ ١١٤، رقم ٥٠)، ومسلم: (١/ ٣٩، رقم ٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص ١٤٨ - ١٤٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ(التَّسَامُحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ) الْجُمُعَةَ ١١ مِن ْجُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٨هـ الْمُوَافِقَ ١٠/ ٣/ ٢٠١٧م

وَمِنَ الْقِيَمِ الَّتِي أَعْلَى الْقُرْآنُ مِنْ شَأْنِهَا: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ

*«وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ: الدَّعْوَةُ إِلَىٰ الصُّلْحِ بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْهِجْرَانِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

وَقَالَ: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]»(١) .(*).

وَقَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

«وَهَذِهِ الْآيَاتُ -يَعْنِي هَذِهِ الْآيَةَ وَمَا تَلَاهَا فِي صَدْرِ السورةِ- إِنَّمَا نَزَلَت في قِصَّةِ «بَدْر» في أَوَّلِ غَنِيمَةٍ كَبِيرَةٍ غَنِمَهَا الْمُسْلِمونَ مِن الْمُشْرِكِينَ، فَحَصَلَ بَيْنَ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا نِزَاعٌ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ قَوْلَهُ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ كَيْفَ تُقْسَمُ وَعَلَىٰ مَن تُقْسَمُ؟

﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾: قُلْ لَهُمْ: الْأَنْفَالُ للهِ وَرَسُولِهِ، يَضَعَانِهَا حَيْثُ شَاءَا، فَلَا اعْتِرَاضَ لَكُمْ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ ورَسُولِهِ.، بَلْ عَلَيْكُمْ إِذَا حَكَمَ اللهُ

---

(١) «موارد الظمآن لدروس الزمان»: (٦/ ٣٨٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (مَحَاسِنُ الدِّينِ الإِسْلَامِيِّ ١) الثُّلَاثَاءَ ٦ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٥هـ الْمُوَافِق ٧/ ١/ ٢٠١٥م

ورَسُولُهُ، أَنْ تَرْضَوْا بِحُكْمِهِمَا، وَتُسَلِّمُوا الْأَمْرَ لَهُمَا، وَذَلِكَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾: أَصْلِحُوا ما بَيْنَكُمْ مِنَ التَّشَاحُنِ، والتَّقَاطُعِ، والتَّدَابُرِ، بالتَّوَادُدِ، والتَّحَابِّ، والتَّوَاصُلِ، فَبِذَلِكَ تَجْتَمِعُ كَلِمَتُكُم، وَيَزُولُ مَا يَحْصُلُ -بِسَبَبِ التَّقَاطُعِ- مِن التَّخَاصُمِ والتَّشَاجُرِ والتَّنَازُعِ.

وَيَدْخُلُ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ البَيْنِ، تَحْسِينُ الخُلُقِ لَهُم، وَالْعَفْوُ عَنِ الْمُسِيئِينَ مِنْهُم فَإِنَّهُ -بِذَلِكَ- يَزُولُ كَثِيرٌ مِمَّا يَكُونُ فِي الْقُلُوبِ مِنَ البَغْضَاءِ والتَّدَابُرِ.

وَالْأَمْرُ الْجَامِعُ لِذَلِكَ كُلِّهِ قولُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فَإِنَّ الْإِيمَانَ يَدْعُو إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ، كَمَا أَنَّ مَنْ لَمْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَلَيْسَ بِمُؤمِنٍ، وَمَنْ نَقَصَتْ طَاعَتُهُ للهِ ورَسُولِهِ، فَذَلِكَ لِنَقْصٍ فِي إِيمَانِهِ»[1]. (*).

*قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٤]

---

(١) «تيسر الكريم الرحمن»: (ص ٣١٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (التَّسَامُحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ) الْجُمُعَةَ ١١ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٨هـ الْمُوَافِقَ ١٠/ ٣/ ٢٠١٧م

«لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ السِّرِّيَّةِ الَّتِي تَكُونُ دَاخِلَ الْمُجْتَمَعَاتِ، بَعِيدًا عَنْ عِلْمِ وَمُرَاقَبَةِ الْقِيَادَةِ الْمُؤْمِنَةِ الْمُسْلِمَةِ، إِلَّا فِي نَجْوَىٰ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالصَّدَقَةِ لِذِي حَاجَةٍ مُتَعَفِّفٍ يَكْرَهُ أَنْ تُفْتَضَحَ حَاجَتُهُ، مُحَافَظَةً عَلَىٰ مَكَانَتِهِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ.

أَوْ مَجْلِسٍ تَكُونُ فِيهِ نَجْوَىٰ قَائِمَةٌ عَلَىٰ أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ لِشَخْصٍ بِعَيْنِهِ، أَوْ أَشْخَاصٍ بِأَعْيَانِهِمْ، فَوَاجِبُ النَّصِيحَةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ أَنْ تَكُونَ سِرًّا، لَا حَدِيثًا مُعْلَنًا، وَإِلَّا كَانَ فَضِيحَةً لَا نَصِيحَةً، وَرُبَّمَا جَرَّأَتْهُ الْفَضِيحَةِ عَلَىٰ التَّمَادِي فِي الْغِيِّ وَالْمُجَاهَرَةِ بِالْإِثْمِ، مَعَ الْمُكَابَرَةِ وَالْعِنَادِ.

أَوْ مَجْلِسٍ تَكُونُ فِيهِ نَجْوَىٰ قَائِمَةٌ عَلَىٰ مُحَاوَلَةٍ لِلْإِصْلَاحِ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمَيْنِ لِيَتَرَاجَعَا إِلَىٰ مَا كَانَا عَلَيْهِ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالِاجْتِمَاعِ، وَمَنْ يَفْعَلْ تِلْكَ الْأُمُورِ طَلَبًا لِمَرْضَاةِ اللهِ وَخَالِصًا لِوَجْهِهِ، فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ فِي الْآخِرَةِ أَجْرًا عَظِيمًا لَا يَعْلَمُ قَدْرَهُ إِلَّا اللهُ»(١).(*).

❁ ❁ ❁

(١) «المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين»: (ص ٩٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) سُورَةِ النِّسَاءِ الْمُحَاضَرَةِ(٥) السَّبْتَ ١٠ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٦هـ الْمُوَافِقَ ٢٧/ ٦/ ٢٠١٥م

دِينُ الْإِسْلَامِ يُقَرِّرُ كُلَّ نَفْعٍ، وَيَنْفِي كُلَّ ضُرٍّ:

إِنَّ «دِينَ الْإِسْلَامِ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ الْعَقَائِدِ الصَّحِيحَةِ النَّافِعَةِ وعَلَىٰ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ الْمُهَذَّبَةِ لِلْأَرْوَاحِ وَالْعُقُولِ، وَعَلَىٰ الْأَعْمَالِ الْمُصْلِحَةِ لِلْأَحْوَالِ، وَعَلَىٰ الْبَرَاهِينِ فِي أُصُولِهِ وَفُرُوعِهِ، وَعَلَىٰ نَبْذِ الْوَثَنِيَّاتِ وَالتَّعَلُّقِ بِالْمَخْلُوقِينَ وَالْمَخْلُوقَاتِ وَإِخْلَاصِ الدِّينِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَعَلَىٰ نَبْذِ الْخُرَافَاتِ وَالْخُزَعْبَلَاتِ الْمُنَافِيَةِ لِلْحِسِّ وَالْعَقْلِ الْمُحِيِّرَةِ لِلْفِكْرِ، وَعَلىٰ الصَّلَاحِ الْمُطْلَقِ، وَعَلىٰ دَفْعِ كُلِّ شَرٍّ وَفَسَادٍ، وَعَلَىٰ الْعَدْلِ وَرَفْعِ الظُّلْمِ بِكُلِّ طَرِيقٍ، وَعَلَىٰ الْحَثِّ عَلَىٰ الرُّقِيِّ لِأَنْوَاعِ الْكَمَالَاتِ

وَهَذِهِ الْجُمَلُ يَطُولُ تَفْصِيلُهَا، وَكُلُّ مَنْ لَهُ أَدْنَىٰ مَعْرِفَةٍ يَهْتَدِي إِلَىٰ تَفْصِيلِهَا عَلَىٰ وَجْهِ الْوُضُوحِ وَالْبَيَانِ الَّذِي لَا إِشْكَالَ فِيهِ»[(١)].[(*)]

❃ ❃ ❃

---

(١) «الدرة المختصرة في محاسن الدين الإسلامي» ضمن مجموع مؤلفات السعدي: (٢٣/ ٣٩٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (مَحَاسِنُ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ) الْمُحَاضَرَةِ الثَّامِنَةِ السَّبْتَ ١٠ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٥هـ الْمُوَافِق ١١/ ١/ ٢٠١٤م

الفِهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ..... ٣
عَظَمَةُ الْإِسْلَامِ..... ٤
مِنْ ثَمَرَاتِ الْآدَابِ السَّامِيَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْكَامِلَةِ..... ٦
الْإِسْلَامُ دِينُ رَحْمَةٍ وَبَرَكَةٍ وَإِحْسَانٍ..... ١١
الْإِسْلَامُ دِينٌ يَحْفَظُ لِلْإِنْسَانِ كَرَامَتَهُ..... ١٣
وَمِنَ الْقِيَمِ الَّتِي اهْتَمَّ الْقُرْآنُ بِبَيَانِهَا: قِيمَةُ التَّعَاوُنِ وَالتَّرَابُطِ..... ١٨
وَمِنَ الْقِيَمِ الَّتِي اهْتَمَّ الْقُرْآنُ بِهَا: قِيمَةُ الْحِوَارِ..... ٢٤
وَمِنَ الْقِيَمِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ: قِيمَةُ التَّفَكُّرِ..... ٣١
وَمِنَ الْقِيَمِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا الْقُرْآنُ: الْعَفْوُ عَنِ النَّاسِ..... ٣٧
وَمِنَ الْقِيَمِ الَّتِي أَعْلَىٰ الْقُرْآنُ مِنْ شَأْنِهَا: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ..... ٤٤
دِينُ الْإِسْلَامِ يُقَرِّرُ كُلَّ نَفْعٍ، وَيَنْفِي كُلَّ ضُرٍّ..... ٤٧
الْفِهْرِسُ..... ٤٨

❁ ❁ ❁